

لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا . فلما رأينا البيوتونة بين آحاد الاجناس تكون من جهة الصورة فكان بين انسان من انسان و فرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك . وكذلك كان الامر في المصنوعات فكان بين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بيوتونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البيوتونة بأن قلنا : « للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك » .

وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور من كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : « وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير »^(١) وقد اطال الحديث عن هذه المسألة فقال : « وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما انك ترى الرجل قد تهدي في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفاس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياها إلى ما لم يتهد اليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك اعجب وصورته اغرب ، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه التي علمت انها محصول النظم »^(٢) وقال : « ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلى كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شأن هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً لم يعمل صانعه فيه شيئاً اكثر من ن يأتي بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتماً والشنف ان كان شنفاً ، وان يكون مصنوعاً بديعاً قد اغرب صانعه فيه ، كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد أمنها غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشأن البلاغة واحداث الصور في المعاني فيصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ويدق في العمل ويبدع في الصياغة . وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وامثله نصب عينيك من أين نظرت . تنظر إلى

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨٩ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٧٠ .